بسمى او أدب

Bisma ou Adab

كنا نشرنا مقالة بهذا العنوان في (٥ : ٦٥ الى ٧٠) وطلبنا الى حضرة صديقنا الوفي يوسف افندي رزق الله غنيمة ان ينقل الى لغتنا ما قاله منها ابناء العرب في اسفارهم بعد التنقيبات التي قاموا بها في الارض التي تعرف باسم «بسمايا» الا ان حضرة الكاتب الالمعي عين وزيرا لمالية العراق فلم يبق لمتسع في الوقت ليفيد قراء لغة العرب بمقالاته اذ انتقلت عائدته اليوم الى فريق اعظم عددا من فريق قراء مجلتنا فكان العذر واضحا فطلبنا الى حضرة صديقنا الاخر وهو رزوق افندي عنبر اعد كتبة المجلة السابقين ان يقوم بهذا السعي فحرر لنا المقالة الآتية : (ل . ع)

وقفت مؤخرا على المقالة المندرجة في الجزء الثاني من السنة الخامسة من « لغة العرب » الصحيفة الـ ٥٦ بعنوان بسمى او ادب لا بسمايا او مسماة او بسماة فشكرت لناشئ هذه المجلة عنايته بطرق المواضيع المفيدة لنا نحن العرب والمستشرقين عموما وما لفت نظري الى كتابة هذا المقال هو رد الكاتب المحقق والمؤرخ المدقق على م . ج . دي خويه بقوله « ومع ذلك نراه قد وهم هو ايضا في هذه القرية او المدينة او ما شئت ان تسميها وذلك انه فرز في فهرس الاعلام بسما عن بسمى فذكر الاولى اي (بسما) مواقع وجودها من تاريخ الطبري . وذكر الثانية بقوله : (بسمى) بالبطيحة وبين محل وجودها وورودها في التاريخ المذكور مع ان الحقيقة هي ان الاسمين لمسمى واحد لا غير . ولو امعن بنظره في البحث لوجد ان ما ظنه قريتين احداهما قريبة من بانقيا والثانية في البطيحة هما واحدة اذ كلتاهما بالبطيحة او البطائح حتى بانقيا نفسها ولم يهب علاستنا هذه الهفوة إلا لانه لم يعرف حدود البطائح » .

وقبل الخوض في بيان ما نحن بصدده اقول : ان بطائح العراق هي مجمع سيب الفرات ودجلة . وكلما تحول مجرى دجلة تحول موقع البطائح ذلك التحول. هذا ولم يذكر مخططو العرب البطائح ذكرا تاما . اذ لم تستقم على حال واحدة

وانما كانت على ما يشاء لها الاتفاق والحوادث .

اني اذهب اليوم مذهب العلامة دي خويه الى ان في العراق موضعين يعرفان بهذا الاسم (بسما وبسمى) واحدهما معروف وهو التل الذي نقب فيه الدكتور بدجرجس بانكس الاثري الاميركي عام ١٩٠٣ وموقعه بين فرات الحلة والفرات وسندرج في جزء مقبل مقالة مسهبا فيها عن هذه المدينة المطمورة منذ اجيال وقد كشفت معاول النقابين عنها النقاب بمشارفة الدكتور المشار اليه فوق هذا .

اما الموضع الثاني المعروف بهذا الاسم فقد بحث عنه في اسفار الرحالين والنقابين والرواد التي بحوزتي فعثرت على ضالتي في احدها ولم اكتف بذلك بل استطلعت جماعة من الشيوخ المعمرين بمواطن العراق القديمة والحديثة والملمين باسماء الروابي والاطلال المبثثة في اطراف الديوانية والفرات وكوت العمارة وفي غيرها وجلهم من المكارين الذين قضوا معظم حياتهم في التنقل من بلدة الى اخرى فذكر لي بعضهم ان بسمايا تل يبعد عن بلد الكوت نحو ثلاث او اربع ساعات وذكر آخرون الانقاض المشهورة الواقعة في شرق الديوانية وقد اجمعت كلمتهم اخيرا على ان في العراق موضعين يعرفان بهذا الاسم ، وتأييدا لما نحن بصدده انقل للمطالع ماجاء في كتاب « بسمايا » او ادب المفقودة لمؤلفه الدكتور بنكس المطبوع عام ١٩١٢ م ص ٣٨٤ قال المؤلف :

« لم تكن بسمى التي نقبنا فيها الانقاض الوحيدة في ديار بابل تعرف بهذا الاسم بل هنالك بسمى اخرى واقعة في الجهة اليمنى من دجلة قائمة فوق بلدة الكوت تبعد عنها نحو اربع ساعات ، وكثيرا ما رغبت في تعقد معالمها فاتاح لي الحظ يوما ان اقضي طول نهاري باحثا منقبا في اطلالها . بينما كنت انتظر ورود باخرة لتنقلني . فانتهزت فرصة تأخرها ونلت مبتغاي » .

« تحتوي الانقاض على تل واحد طوله نحو نصف ميل في عرض ربع ميل وعلوه خمسون قدما وتكاد تكون قمته مستوية بيد ان اطرافه قائمة متحدرة وقد اثرت فيها سيول الامطار تأثيرا عظيما فجرفت قسما منها واصبحت اخاديد عميقة تشبه السواقي « Yullies » وهناك كثير من قطع الخزف المدهونة

بدهان ازرق والاجر المشوي وفي الطرف الجنوبي وجدنا احدورا فيه تابوت من الطين فيه سكة من عهد الفرثيين وهم الارشكيون وقد نخرها التراب ثم عثرنا على عدد كبير من النقود مبعثرة في كل مكان من التل غير انها كانت متخورة جدا حتى اننا لم نهتد الى معرفة اسم ضاربها ولا الى تحقيق ما عليها من الكتابة وقد استفدت فائدة كثيرة من الرسوم المنقوشة على الاجر وفي بعضها وجدنا كتابة تشتمل على ثلاثة اسطر منقوش فيها اسم نبو كد نصر ولكن لم نر فيها اثرا لاسم المدينة ومن الاجر ما هو مطبوع عليه رسم مربع صغير غير ان معظم الاجر مكتوب عليه كلمة واحدة بحروف عبرية او ارمية وقد انتقيت احسنها وحفظتها معي لكي اقف منها على اسم ذلك الموضع القديم وبعثت بنسخة من تلك الكتابة الى الاستاذ تورى من جامعة بل فاجابني ان الحروف ارمية قديمة وتلفظ كرنبو ويغلب هذا الاسم اشارة تمثل برجين وتدل على ان تلك الكلمة كانت اسم المدينة وقد وردت لفظة « كرنبو » في الكتابات الاشورية وكانت لها علاقة بكوثى (تل ابرهيم) ويذهب جمهور من الاثريين الى انها من اقدم المدن في تلك الناحية وقد اورد ياقوت اسم كرنبو نقلا عن كتبة اليهود انه كان ابن كوثى بن ارفكشاد بن سام بن نوح ويقال ايضا ان كرنبو كان والد زوجة ابرهيم ويظهر من التقاليد ايضا ان يسمى هذه تمثل موضع احدى مدن بلاد بابل الواقعة في القدم . هذا وسطح الانقاض يرشدنا الى العصور الاخيرة من دولتي بابل وفرثية فان ذلك التل عال جدا ومن المحتمل ان في ثناياه وطبقاته اثار امم قديمة والتنقيب فيه سهل ومضمون النجاح » .

« ان شظايا الخزف لم تكن خالية من فائدة لانها كانت منقوشة بدهان ازرق واحمر وابيض وبعضها كانت مطبوعة بطابع ومن الطوابع رسم دائرة وضمنها رمز قسديم بهيئة صليب يوناني مع ذراعين معقوفتين ومنها تصميم يدل على شعار كشعار الدولة العثمانية اي يلمح الى راية الهلال ولا يبعد ان النجم المستدير يمثل الشمس ومهما يكن من الامر فان الواقع يحملني على ان ابحث عن اصل ذلك الرمز المعهود عند العموم كرمز تركي المنشأ لانه ظهر اولا على الراية العثمانية في هذا العصر فقد جاء في روايات الاقدمين ان ذلك الرمز منشأه الملك

فيليب والد اسكندر الكبير فانه في احدى غزواته باغت سكان بوزنطية ليلا فكان النجم المتألق في السماء القائم بالقرب من القمر سببا في اثارة كلاب الازقة واخذت تنبح نباحا شديدا فهب الاهالي وادركوا الخطر المحدق بهم فقاموا في الحال واخذوا يذودون عن حياض المدينة حتى انقذوها من ضربة العدو واستيلائه عليها . بيد ان الاكتشافات في هذه البقعة تحملنا على ان نعتقد ان ذلك الرمز قديم جدا ويتجاوز في القدم عصر فيليب اذ كان في زمن الشمريين ذلك الرمز كسمة تمثل كلمة رقية ومن المؤكد كون اصل ذلك الشعار تعويذة لطرد الارواح الخبيثة وتقليص ظل الامراض والنكبات وجلب اليمن والسعادة وقد اتخذ اهالي المشرق قاطبة هذا الرمز حرزا حريزا بيد ان الفرس والقرثيين انفردوا به دون سواهم حتى طبعوا رسمه على مسكوكاتهم » .

هذا ومن العراقيين من يذهب الى وجود موضع ثالث يعرف باسم بسمايا وذلك نقلا عن شيوخ بوادي العراق حتى ان احد الاعراب اتى يوما الى النقاب الاميركي في بسمى واكد للعريف الذي برفقته ان التلال التي ينقب فيها لم تكن التلال الواقعة في بسمايا الاصلية فحمله قوله هذا على ان يرافقه مع جماعة من الفعلة الى المحل الذي اشار اليه وقد ذكر ذلك بنكس في كتابه المذكور في صدر هذا المقال ص ١٥٤ ـ ١٥٥ قال ما ترجمته :

« بعد ان اسفرت التنقيبات عن نتيجة حسنة اتاني « الاوباشي » ذات يوم بخبر مفزع مآله ان التنقيبات لم تكن جارية في انقاض بسمايا الاصلية وان بسمايا الحقيقية التي هي مطمح انظارنا واقعة على مسافة ميلين او ثلاثة اميال من هنا الى الجنوب وراء تلك الجبال (الراوبي الرملية) حتى قال حقا لقد اضعنا وقتنا وذهبت اتعابنا سدى واستمر مصرا على قوله هذا انا لم نظفر بعد بضالتنا المنشودة فاعتمدوا على ماقاله بمأمورية عدتي وغادرت محلي قاصدا الموضع الذي اشار اليه ولما بلغناه القينا اعالي التلال مغطاة بشظايا من الخزف غير المصقول وشاهدنا في اماكن كثيرة اثار جدران مبنية بالاجر المسنم المشوي وبعد ان نبشنا الارض عرقسا بضعة خروق لم نعثر على شيء مهم يستحق الذكر سوى سطح صهريج معد للماء مصنوع من الاجر الخزفي الصلب وقدر قطره نحو متر وعمقه متساوي

الاطراف .

ان الحوض والاسوار المشيدة بالاجر المسنم تدل دلالة صادقة على ان الاطلال الدوارس ترتقي الى عهد قديم جدا .

هـذا ما اردت نشره في هذه المجالة وسأردفها بمقالة اخرى اغزر مادة تبحث عن بسمي وهي الموضع الذي نقبت فيه البعثة الاميركية وعلى رأسها الدكتور بنكس وفيها من الانباء التاريخية والآثار القديمة ما يحقق امنية فريق من العراقيين المجدين في الوقوف على آثار اسلافهم القدماء وما اتوه من بدائع الفن قبل نحو سبعة آلاف سنة

رزوق عيسى

لم يقال معافري ولا يقال مشارقي

جاء في مختار الصحاح في باب [ش ر ق] « يقال سيف مشرقي ولا يقال مشارقي لان الجمع لا ينسب اليه اذا كان على هذا الوزن » اقول : هذا تعليل باطل لا يغني من الصواب شيئا ويكذبه هو نفسه في كتابه . فقد قال في باب [ع ف ر] « ومعافر بفتح الميم حي من همدان لا ينصرف معرفة ولا نكرة كمساجد واليهم تنسب الثياب « المعافرية » تقول « ثوب معافري » تنصرفه اه فمعافر اذن وزان مساجد ولو لم يكن جمعا لما منع من الصرف لان المفرد الموازن لصيغة منتهى الجموع لا يمنع من الصرف نحو « ثمان » تقول « عدونا من دور المدينة ثمانيا » فتصرفه . فكيف جاز لصاحب الكتاب ان يقول « الثياب المعافرية » و « ثوب معافري » وهو يمنع ذلك ؟ فالتعليل المصيب هو ان « المعافر » جمع سمي به امرؤ واحد فصار علما بالتغليب مثل « انمار وكلاب » فقيل « معافري وكلابي وانماري » وبذلك يظهر خطأ قوله « لان الجمع لا ينسب اليه اذا كان على الوزن » فالاعتبار بالاستعمال لا بالوزن . وقولهم « مشرقي » لا « مشارقي » لان « مشارق » اسم لقرى عدة من ارض العرب تدنو من الريف فاذا نسبوا الى مفردها دلت النسبة على الجنس واستغني عن النسبة الى الجمع .

مصطفى جواد